جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ
أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

المحاضرة الرابعة: مصادر تاريخ الجزائر في العصر الوسيط

1- كتب التاريخ العام:

1.1- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لمؤلفه أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عذاري المراكشي كان حيا خلال سنة 712ه/1312م، يكتسي هذا الكتاب أهمية فريدة من نوعها، فقد يتحف الباحث في التاريخ الأندلسي بالكثير من الأحداث التاريخية المستقاة من مصادرها الأصلية، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أجزاء، فتطرق في الجزء الأول إلى ذكر أخبار إفريقية من بداية عمليات الفتح الإسلامي في زمن عثمان بن عفان ﷺ، وأخبار أمرائها من ولاة خلفاء بني أمية، وبدايات تواجد المذاهب الخارجية كالصفرية والإباضة، كما تطرق إلى بداية الخلافة العباسية في المشرق، وظهور دولة الأغالبة الموالية لهم في بلاد المغرب الإسلامي، ثم الدولة الفاطمية الشيعية، وذكر أخبارا مهمة عن الهجرات الهلالية وما صاحبها من متغيرات اجتماعية واستراتيجية، كما أفادنا بمعلومات مهمة استقاها من المصادر النفيسة عن تاريخ وحضارات الدويلات المستقلة في بلاد المغرب الإسلامي كدولة بني زيري، والدولة الحمادية ودولة الأغالبة، والدولة المرابطية والموحدية.

وفي سياق متصل؛ تمكن ابن عذراي من تقديم معلومات قيمة عن أخبار دولة بني مدرار السجلماسيين، أخبار دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وما كان لهم من ملك وسلطان وحضارة، وأخبار البرغواطيين، والزناتيين، وكثير من المعلومات التي تفيد المؤرخين والباحثين في التأريخ لتاريخ المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

أما الجزء الثاني، فقد عرض فيه أخبار الأندلس شبيه جزيرة إيبيرية منذ بداية الفتح الإسلامي إلى غاية قيام الخلافة الأموية، كما أنه تطرق بشيء من التمحيص والتحليل لأحداث الفتنة الأندلسية سنة 399ه/1008م، وعصر ملوك الطوائف، حتى دخول المرابطين سنة 478ه/1085م.

أما بخصوص الجزء الثالث؛ فذكر فيه أخبار المرابطين والموحدين وزاول دولهم، وأفرد فصولا تحدث فيها عن تاريخ الدويلات المستقلة التي قامت وتأسست على أنقاض الدولة الموحدية كالدولة الحفصية في المغرب الأدنى، ودولة بني الأحمر في الأندلس، ودوللة بني مرين في المغرب الأقصى، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط، لينتهي الكتاب عند احداث سنة 667ه/1286م. يعتبر وثيقة مهمة وهي تمثل حفظا ورقيا لنصوص تعد في الأصل ضائعة ومفقودة كنصوص كتاب المتين لابن حيان مثلا.

2.1- كتاب فتوح مصر والمغرب لـ "ابن عبد الحكم" (ت257ه/871م): يعتبر كتاب "فتوح مصر والمغرب" من أقدم المؤلفات التاريخية التي وصلت إلينا، وقد اهتم المؤرخون العرب القدامى بكتابه اهتماما كبيرا، واعتبروه مصدرا مهما لتواريخهم التي تناولوا فيها النشاط العربي في البلاد التي خضعت لحكم العرب في إفريقية، وربما الميزة التي تميز بها ابن عبد الحكم هو أنه جمع المعلومات من المصادر التاريخية التي كانت متاحة له وقتئذ من مصادر مكتوبة وروايات شفهية، وعمل على ترتيبها في مجموعات كبيرة وفق أهميتها.

تنقسم المادة التاريخية في الكتاب إلى سبعة أجزاء غير أن ما يهمنا في كتابته هي:

الجزء الأول: ويبحث في فضائل مصر وصفتها، وتاريخها منذ القدم إلى دخول الإسلام فيها وفتح المسلمين لها، ودور بني إسرائيل في تاريخها، ونشأة مدينة الإسكندرية، وذكر الصراع الفارسي والبيزنطي للسيطرة على مصر، ويحوى هذا الجزء من الكتاب كثيرا من

الأساطير التي لا ترقى إلى مرتبة الحقائق التاريخية، بل تميل إلى الميثولوجيا التي تتوارثها الأجيال وتتناقلها الشفاه، فتزداد بعدا عن الحقائق العلمية ومجافاة للتاريخ الصحيح.

الجزء الثاني: يعالج ابن عبد الحكم الفتح الإسلامي لمصر تحت قيادة عمرو بن العاص في تفصيل صحيح ووضوح **الجزء الثالث:** يكتسي هذا الجزء أهمية خاصة، فقد عرض فيه ابن عبد الحكم الخطط والدور والبيوت التي أقامها الفاتحون في الفسطاط وفي الجيزة، كما شرح النظام الضرائبي من الخراج والجزية... إلخ.

الجزء الرابع: يصف المؤلف في هذا الجزء إدارة مصر تحت إمارة عمرو بن العاص، وعبد الله بن سعد، ويذكر فتح الفيوم وبرقة وطرابلس بقيادة عمرو بن العاص، والنوبة وشمال إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد...إلخ.

الجزء الخامس: خصص المؤلف هذا الجزء للتأريخ لأحداث فتح شمال إفريقية والأندلس.

3.1- كتاب تاريخ إفريقية والمغرب لـ "الرقيق القيراوني": لم تتفق التراجم سنة مولد ووفاة الرقيق القيرواني أو لوفاته، غير أن الكثير من المؤرخين يعتقدون أن ولادته كانت بعد سنة 362هـ وأن وفاة الرقيق وقعت بعد سنة 425 هـ، ويغطي الكتاب تاريخ إفريقية والمغرب كما تشير إليه المقتطفات، من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى سنة 417هـ، وهي سنة مبايعة بني خزرون بطرابلس للخليفة الفاطمي بالقاهرة، ومن هنا يتضح أن الرقيق القيرواني قد عمل عدة سنوات على كتابة تاريخه الكبير مسجلا حتى أحداث معاصريه.

لم يتمكن الرقيق القيرواني من تغطية جميع أحداث المغرب إلى غاية القرن الخامس الهجري، وتؤكد لنا دراسة فصول ومحاور الكتاب أن المؤلف ركز كثيرا على تاريخ إفريقية، فبعد أن مهد الرقيق للكتاب بالحديث عن الفتوحات الإسلامية لجميع بلاد المغرب، خصص كامل كتابه للدول التي جعلت من القيروان عاصمة لها: الحكام الأمويون، والأغالبة والفاطميون ثم الزيريون، فكتاب "تاريخ إفريقية والمغرب" إذن لا يغطي كل تاريخ المغرب الأوسط والأقصى، إلا ما كان من نشاطات أصحاب القيروان خارج إطار إفريقية، في شكل حملات عسكرية ضد مناطق حكم الرستميين والأدارسة على عهد الدولة الأغلبية والفاطمية.

كما أنه أرخ لفترة عصر الولاة التي تمتد حسب أغلب المؤرخين ما بين سنتي 96-140هـ أي من تاريخ نهاية الفتح الإسلامي للأندلس وتعيين الولاة في إفريقية والأندلس إلى غاية قيام أول الدويلات المستقلة في بلاد المغرب الإسلامي، ويزودنا الكتاب بمعلومات مهمة استثنائية مقارنة مع الكتب التاريخية الأخرى.

4.1- كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لـ "عبد الواحد المراكشي":

هو أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي، المراكشي، المالكي مؤرخ، بحاثة، ولد بمراكش في ربيع الثاني سنة 581هـ/1185م، في أول أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموحدي، وانتهى من تأليف كتابه وتوفي سنة 647هـ/1250م.

لقد عني كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" بأخبار البلاد المغربية وسير ملوكها وأمرائها ودويلاتها، وقد ألفه أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، استجابة لطلب أحد الأعيان الرؤساء، الذي سأله جمع مختلف الأحداث التاريخية التي تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدوده وأقطاره، وشيء من سير ملوكه، وخصوصا ملوك المصامدة بني عبد المؤمن، من بداية دولتهم، إلى حدود سنة 629هـ/1225م، مع نبذة من سير الذين لقيهم أو روى عنهم من الشعراء، وأهل الفضل والرواية والأدب.

لقد اعتمد المؤلف في طريقة جمع لمختلف الأحداث والأخبار على بعض المصادر التاريخية، مثل كتاب "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" للحميدي وغيرها من الكتب الأخرى، أما فيما يخص تدوين تاريخ بلاد المغرب قبل العهد الموحدي، فقد كانت كتابته تلخيصا دقيقا متقنا لروايات سبقه في تدوينها مؤرخون قدماء، اقتبس عنهم روايات إما بطريقة موجزة، أو مسهبا الحديث في بعضها حسب طبيعة

الأحداث والمواضيع وأهميتها، وفي مقدمة الكتاب يصرح المراكشي أنه اعتمد على جمع كثير من الروايات ممن لقيه، أو من خلال لقاء من لقي الشخصيات التي يريد التأريخ لها، وبذلك فهو يتحرى الأمانة العلمية والمصداقية في جمع الشهادات الحية والروايات المتواترة، فالمراكشي يميل في عرضه إلى استيعاب الأخبار المهمة خاصة في القسم الذي يستعرض فيه تاريخ الدولة الموحدية، كما يتخلل عرضه التاريخي إيراد تراجم وسير أدباء أندلسيين.

5.1- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون (تـ 808هـ/ 1406م): يقع هذا المصدر المهم في سبع مجلدات، يسمى الكتاب الأول منها "المقدمة"، تناول فيه العلامة تاريخ العمران والحضارة في الأندلس والمغرب الإسلامي والعالم الإسلامي عموما، واحتوى على معلومات قيمة في العمران والتاريخ والجغرافية والطب والصناعات والفلسفة والخطط والنظم الإسلامية في المشرق والمغرب وغيرها من العلوم المعروفة في عهده أو قبله، فقد اشتملت على فلسفة التاريخ والعمران والصراع بين البداوة والحضارة، كما أفرد فصولا عن النظم طرق التربية والتعليم.

يشتمل الكتاب الثاني على تاريخ العرب الى عصر المؤلف مع الإلمام بمشاهير الأمم الغير العربية التي عاصرها بالمشرق والمغرب، أما الكتاب الثالث فموضوعه تاريخ البربر وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بالشمال الإفريقي من الدول، وقد وصل في أخبار مصر إلى سنة 797هـ، وفي أخبار الأندلس إلى سنة 794هـ، وما يهنا في تاريخ الجزائر هما الجزء السادس والسابع، فهو يقدم لنا تأريخا مفصلا عن بنية المجتمع في بلاد المغرب الإسلامي وتفاعلها مع مجالاها الجغرافي الشاسع، بحيث يسلط الضوء على ساكنة هذا المجال الجغرافي من القبائل البربرية والعربية والأعاجم الذين اسقروا في البوادي والحواضر، والمظاهر والعوامل التي تحكمت في انتشارها واستقرارها.

قدما لنا ابن خلدون تصورا منقطع النظير عن الخريطة السكانية وتمركز القبائل في بلاد المغارب "المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى"، وبذلك نجده يؤرخ لكثير من الدويلات المستقلة التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي، موضحا في ذلك نشأة الحواضر وزوالها والعوامل المتحكمة في ذلك، كما أنه يعد كتابا مهما في ذكر أنساب معظم القبائل، فقد وقف على كثير من كتب الأنساب والتراجم والسير، وحاول التدقيق فيها والوقوف على بعض المغالطات والأساطير التي سيقت لنا في الكتب التاريخية والإخبارية، وعمل على تنقيحها ومناقشتها، كما يناقش كثيرا من الأحداث التاريخية التي شهدها المغرب الإسلامي منذ بداية الفتح الإسلامي إلى تاريخ وفاته تقريبا، مركزا على أهم المحطات التاريخية التي كان يرى أنها تستحق التحليل والتمحيص وبيان الحقائق التاريخية.